الترغيب والترهيب
في سورة البقرة
(دراسةٌ تداولية)

أ. د: الشيخ محمد خالد الصادق

أستاذ البلاغة والنقد المشارك

قسم اللّغة العربيّة

كلية العلوم والآداب بمحايل

جامعة الملك خالد

الترغيب والترهيب في سورة البقرة (دراسةٌ تداولية)

الشيخ محمد خالد الصادق
أستاذ، البلاغة، قسم اللّغة العربيّة، كلية العلوم والآداب بمحايل، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني: eelssdig@kku.edu.sa

ملخص البحث

القرآن كتابٌ عربيٌ مبين يقرأ صوته بلسان عربي ويبين معناه باللغة العربية، ولكي يُفسر كلم القرآن بلوغاً إلى معانيه لابد من تعرف جذور الكلمات لتُبين أصول المعاني، وتفقه تصريفها تركيبا لتقاس عليه دلالات التصريف بحركاتها وحروفها، وتجويد نطقها وتقدير مكانها نحواً وإعراباً ووقعها معنىً وبلاغة في سياق الجمل لتنضبط دلالاتها بياناً وتتسق بداعتها جمالاً. والناظر لبعض مناهج التفسير للقرآن الكريم، يجدها تذهب ماسحة سطح المعاني الكلية لا تنزل بيانها إلى وجوه الحياة وحقائقها التي يُجليها موقع التنزيل والخطاب، وأحياناً تُركّز على بيان بعض الفروع مبتعدة عن أصولها العامة، ومنها ما يُركز على الظاهري في هدى المعاني، ومنها ما تصوَّب إلى بيان هديه لباطن الوجدان. ولذلك سأوضح كيف تجمع الدراسة التداولية الحديثة بين خير كلّ المناهج من حيث ما اقتربت من بيان القرآن، بعد تطوّر العلوم والحياة لعلنا نكسب جديداً من هدي القرآن، وبنشره للناس ترقياً مداوماً إلى الأنسب والأوفق والأتم في سيرة التفسير وقد وقع اختياري لسورة البقرة لأطبق عليها المنهج التداولي متناولاً قضية الترغيب والترهيب، والدراسة ذات بعدين (نظري وتطبيقي) فالدراسة النظرية تركز الحديث عن التداولية والتعريف بسورة البقرة والدراسة التطبيقية اختار فيها القصص القرآني في سورة البقرة أُطبق عليها المنهج التداولي، والمنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي، وبطريقة تناول تداولية، وجاء البحث من ثلاث مباحث ومستخلص ومقدمة وخاتمة. وقد توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج أهمها: الخطاب

القرآني فبعامة وفي هذه القضية في سورة البقرة خطاب كوني يخاطب الإنسان في أيّ زمان ومكان، مع أنّنا نجد أنّ هذه القضية قد نزلت في واقع معين وخاطبت شخصيات معينة في زمنٍ معين.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، سورة البقرة، الترغيب والترهيب، دراسة، تداولية.

Encouragement and intimidation in Surat Al-Baqarah (A deliberative study)

Sheikh Muhammad Khaled Al-Sadiq
Professor of rhetoric and co-criticism Department of Arabic Language - College of Science and Arts in Mahayel-King Khalid University
Email: eelssdig@kku.edu.sa

Abstract: Quran is the Arabic Perspicuous Book recited and interpreted in the plain Arabic language. To interpret the Quran in order to reach its elevated meaning, it is necessary to trace the epistemology of words and understand the derivations to make it a measurement in its derivations, intonations, sounds and pronunciation. It is also important to give it its proper place in grammar, syntax, semantics, rhetoric and aesthetics. Looking at the available approaches of Quran interpretations, it is noticed that some interpretations are artificial, not digging up the true meanings and comprehensive message of life as meant in the revelation. It is also true that some other interpretations are to some extent deeper, but either focusing on the branches or on the surface meanings and a few tried to reach the internal psyche. This paper is an attempt to clarify how to pragmatic studies embrace the advantages of many approaches that address the interpretation of Quran. This is due to advancements in knowledge that helped a lot in selecting what is the best in the interpretation of Quran. This study focuses on intrusion and intimidation in Surat Albakara. Surat Albakara has been selected as it is Madania revealed at the establishment of the civil society in Madinah when there was a crisis between the believers and disbelievers in a moment of observation from the Jews and hypocrites at a time of expanding of the number of subjects, discourses, places and times. There can be found a variety of phrasing, linguistic units, pragmatic arguments, narrations, stories, news and reports. This makes Surat Albaqara a prope topic for a pragmatic study.The problem of this research is how to explore the pragmatic dimension in the Quranic discourse through the Speech Act Theory? The study tries also to explore the sufficiency of the pragmatic approach to study the style of Quran. The study consists of two parts one is theoretical

and the other is practical. The theoretical study focuses on introducing Surat Albaqara and the pragmatic approach as well. The practical part discusses intrusion and intimidation in Suarat Albaqara and examines them against the pragmatic approach. The study followed the descriptive methodology drawing on the pragmatic approach. This paper consisted of three sections, abstract, introduction, and conclusion. The study reached several conclusions of which the following is the most important: The Quranic discourse in general and in Surat Albaqara in particular is universal appealing to human beings beyond the limits of time and space though the context was addressing a certain issue addressing certain figures in a certain time.

Keywords: Holly Quran, Surat Albaqara, Intrusion and Intimidation, Pragmatic Study.

المقـــــدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد – ﷺ– وبعد:

اللغة سلوكٌ اجتماعي يُعبِّر به كلُّ قومٍ عن أفكارهم، ونشاط تقوم به جماعة من الناس بهدف التواصل وتحقيق المصالح، فما ينجم عن هذا التواصل، مادة علمية صالحة للدراسة.

واللسانيات العربية اليوم انفتحت انفتاحاً واسعاً على النماذج والتحليلات والنظريات التي عرفها العالم الغربي منذ عقود، ولعلّ في هذا الانفتاح ما يجعل الفكر اللساني العربي أن يعقد حواراً مثمراً ومراجعات بين الماضي والحاضر، أي بين ما يزخر به هذا الفكر العربي والتراث العربي الحضاري من طرائق التحليل والمفاهيم، وبين ما يعج به الفكر اللساني الحديث من نظريات في سبيل تحقيق انفتاح حضاري واعٍ، يتجنب الوقوع في الإسقاط المنهجي.

والتداولية مصطلح جديد يحمل مفهوماً قديماً، كان يستخدمه القدماء في التراث العربي، ضمن أنساق وسياقات بلاغية، ونحوية، وكلامية، وأصولية وغيرها. فهي تمتلك الإمكانيات التي تُسهم بها في وصف اللغة العربية، ورصد خصائصها الخطابية والتواصلية.

والتداولية تسعى إلى معرفة أغراض القائل المقامية، من خلال معرفة الإستراتيجية الخطابية للنص. ومن ثم يكون المعنى المقامي عمدة التفسير، وذلك بالكشف عن قيمة القول خارج العالم اللساني العربي، ومحاولة التأصيل لهذه الخصائص والمفاهيم في التراث اللغوي العربي، ومن هذا المنطلق جاء هذا البحث الموسوم بـ (الترغيب والترهيب في سورة البقرة – دراسة تداولية)، وتكمن **أهمية البحث** في أنّ هذه السورة مدنية نزلت في مرحلة تأسيس لمجتمع المدينة ،حين تأزمت العلاقة بين المؤمنين والمشركين وسط ترقب اليهود والمنافقين، ومن ثم اتسع السياق بتعدد المخاطبين وتعددت الموضوعات، وتنوع الزمان والمكان ، ونجد فيها صياغات نصِّية متنوعة، بما تتضمنه من

وحدات لغوية، وعبارات، ومحاورات، وأخبار، وقصص، وحجاج تداولي، وتقريرات. وتتمثل **أهداف البحث:** في كيف يمكن الكشف عن البعد التداولي في الخطاب القرآني من خلال المفاهيم التداولية؟ وما مدى كفاية المنهج التداولي لدراسة الأسلوب القرآني؟ وهذا يُفسح المجال لتنوع الأساليب والصيغ، مما يجعل الدراسة ميداناً خصباً تتجلى فيه الدراسة التداولية **وسبب اختيار النموذج** من سورة البقرة، وذلك لسعتها وعظمها ولما تحمله من معانٍ وأحكام اعتمدت أغلب سور القرآن عليها.

منهج البحث: والمنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي، وأنّ طريقة التناول تستند إلى الاتجاه التداولي، ومن أبرز الدراسات القديمة التي عالجت بعض جوانب المنهج التداولي أذكر الشاطبي في الموافقات، والغزالي في المستصفي، وغيرهم، وفي العصر الحديث أسهم بعض الدارسين بأعمالهم في المزج بين الدراسات العربية والدراسات الغربية، أذكر منهم: طه عبد الرحمن خاصةً في كتابيه: في أصول الحوار وتجديد الكلام، واللسان والميزان حيث يعالج قضايا الحوار والخطاب والحجاج، ومن كتب المتوكل: الوظائف التداولية في النحو العربي، وآفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، وهناك بعض الدراسات السابقة من أبرزها ما قام به محمد العمري في دراسته: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول. وكذلك الدراسة الحجاجية التي قام بها عبد الله صولة في كتابه الحجاج في القرآن الكريم. ومن الدراسات التطبيقية أذكر جهود صابر الحبابشة في كتابه: الأبعاد التداولية في شروح التلخيص للقزويني وكذلك عمر بلخير في كتابه: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ومحمود طلحة في كتابه: تداولية الخطاب السردي ومحمد العبد في أبحاثه: الحدث اللغوي، وتعديل القوة الإنجازية، وهناك بحث في رسالة ماجستير بعنوان أفعال الكلام في الخطاب القرآني ...لصاحبته حليمة بو الريش سنة٢٠١٢م وكذلك الأفعال الكلامية في القرآن الكريم (سورة البقرة) دراسة تداولية دراسة دكتوراه في علوم اللسان العربي لمحمد مدور.

ومن **أبرز العوائق** التي تواجه الباحث في هذا الميدان: الإبهام، الذي يميز عدداً كبيراً من المصطلحات والمفاهيم التداولية، ويُعزى ذلك لسبب أنّ التداولية هي مجموعة من النظريات نشأت متفاوتة من حيث المنطلقات والمشارب والخلاف في القوة الإنجازية هل هي ما يعمد إليه المستمع أم ما يقصده المتكلم، فالإشكال إذاَ في الاعتماد على مقصد المتكلم أو تفسير المستمع؟.

المبحث الأول

التعريف بسورة البقرة وبالتداولية

التعريف بسورة البقرة:

سورة البقرة من أطول سور القرآن، وهي سورة مدنية، وعدد آياتها (٢٨٦)، وفي أغلب التفاسير أنها سميت بهذا الاسم لقصة البقرة الواردة فيها، حيث قُتِل في بني إسرائيل قتيل ولم يعرفوا قاتله، فأمرهم الله سبحانه وتعالى بذبح بقرة إلا أنّهم تماطلوا في الأمر.

ولكن إذا رجعنا إلى المعاجم اللغوية نبحث عن معنى كلمة بَقَرَ، ورد في معجم لسان العرب: التبقر التوسُع في العلم والمال. وكان يُقال لمحمد بن علي بن الحسين علي الباقر لأنّه بقر العلم، وعرف أصله واستنبط فروعه وتبقّر في العلم. وأصل البَقْر: الشق والفتح والتوسعة. وبقرت الشيء بقراً فتحته ووسعته، وفي حديث حذيفة: فما بال هؤلاء الذين يبقرون بيوتنا أي يفتحونها ويُوسعونه[١].

يتضح مما سبق من المعنى اللغوي أنّها سُميت سورة البقرة لأنّها واسعة فالبقرة بمعنى الواسعة العظيمة، ومما يُدعِّم هذا المعنى نجدها تُسمّى بالفسطاط (فسطاط القرآن) كما كان يُسمِّيها خالد بن معدان، وذلك لعِظَمِها ولما جُمع فيها من الأحكام التي لم تُذكر في غيرها [٢].

مفهوم التداولية وأقسامها ومحاورها:

أصل المصطلح من مادة (دَوَلَ)، جاء في أساس البلاغة (دالت له الدولة، ودالت الأيام بكذا، وأدال الله بني فلان من عدوِّهم: جعل الكثرة لهم عليهم، والدهر دول...وتداولوا الشيء بينهم)[٣].

١- ابن منظور، لسان العرب، ج٢

٢- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: الإتقان في علوم القرآن، دار إحياء العلوم، بيروت، مكتبة المعارف، ط٢ج١، ص١١٩

٣- الزمخشري ، أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، ص١٣٩

أمّا في لسان العرب:(تداولنا الأمر أي أخذناه بالدول). [١] ومن شواهد القرآن قوله تعالى:(كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم). [٢]

المفهوم الاصطلاحي للتداولية:

هي فرع من فروع علم اللغة، يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم ودراسة معناه، لأنّ المتكلم كثيراً ما يعني أكثر مما تقوله كلماته، فالتداولية هي دراسة اللغة في الاستعمال، أو في التواصل لأنّ المعنى ليس متأصلاً في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم والسامع وحدهما ، وإنّما في تداول اللغة بين هذه الأطراف).[٣]

ومصطلح التداولية مصطلح مترجم من مصطلح (Theorie Pragmatique) التي تطلق على كل ماله قيمة علمية، أو نظرية علمية، ثمّ دخلت إلى مجالات الدراسات الفلسفية والأدبية وهو مصطلح يُعَبِّر عن تداول الخطاب بين المتكلم والسامع، وهو علم جديد في التواصل يُفسِّر كثيراً من الظواهر اللغوية).[٤]

ويُنسب أول استعمال لمصطلح التداولية (Pragmatique) للفيلسوف الأمريكي (شارل موريس) وذلك سنة ١٩٣٨م:(إنّ التداولية جزءٌ من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات، وهذا تعريف واسع يتعدى المجال اللساني إلى السيميائي). [٥]

وتُمثل التداولية حسب رأيه فرعاً من فروعٍ ثلاثة يشتمل عليها علم العلامات وهي:

١ – علم التراكيب: La S yntaxe ارتباط العلامات فيما بينها.–

١– ابن منظور، لسان العرب ، ط٣/٢٠٠٤، دار صادر، بيروت، ٢٥٢/٥

٢– الحشر آية (٧)

٣– محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ط١/٢٠٠٦

4- Grand larousse Universel.Paris Cedex Tome12 P8412

5- Petit larousse en couleur librairie lavousse Paris 1980.1496

٢- علم الدلالة : L a Semantique ارتباط العلامات في علاقتها بالواقع، أو دراسة علاقة العلامات بالأشياء والموجودات التي تدل عليها.

٣- التداولية: La Semantique ارتباط العلامات بمستعمليها، بظروف استعمالها وبآثار هذا الاستعمال على البنى اللغوية.[١]

غير أنّ التداولية لم تصبح مجالاً يُعتد به في الدرس اللغوي المعاصر إلا في العقد السابع من القرن العشرين بعد أن قام بتطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى جامعة أُكسفورد هم: أوستين(J.Austin)، وسيرل(J.Searl)، وغرايس (H.(Grice، وقد كان هؤلاء من مدرسة فلسفة اللغة الطبيعية الذين اهتمُّوا بطريقة توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية من خلال إبلاغ مُرسل رسالة إلى مُستقبل يُفسِّرها، وكلّ هذا من صميم التداولية والغريب أنّ أحداً منهم لم يستخدم مُصطلح التداولية).[٢]

وأول من أطلق مصطلح التداولية مقابلاً لPragmatique هو طه عبد الرحمن، يقول:(وقد وقع اختيارنا منذ ١٩٧٠م على مصطلح التداوليات مقابلاً للمصطلح الغربي (براغما تيقا)؛ لأنّه يوفي المطلوب حقه باعتبار دلالته على معنيين(الاستعمال) (والتفاعل) معاً، ولقي منذ ذلك الحين قبولاً من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه أبحاثهم). [٣] واللسانيات في نظر طه عبد الرحمن ثلاثة مجالات هي:[٤]

١- انظر ، محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النّص ومجالات تطبيقه، ط١، الجزائر، ص٤٨

٢- انظر، دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد بحياتي، ط١،٢٠٠٨، ص٢٧

٣- طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط٢، ٢٠٠٠، المركز الثقافي العربي، ص٢٧

٤- المرجع السابق، ص٢٨

١-الدراليات: تشمل الدراسات العاكفة على الدال الطبيعي، وتُمثِّلها العلوم الثلاثة الصوتيات والصرفيات والتركيبيات.

٢-الدلاليات: تشمل الدراسات الواصفة لعلاقة الدوال الطبيعية ومدلولاتها، سواءً أكانت تصورات ذهنية أم أعياناً في الخارج.

٣-التداوليات: تشمل الدراسات الواصفة لعلاقة الدوال الطبيعية ومدلولاتها مع الدالين بها، وأبواب هذا القسم ثلاثة: أغراض الكلام، ومقاصد المتكلمين، وقواعد التخاطب.

ومن أهمّ العوامل لظهور هذا التوجه في البحث اللغوي المعاصر، هو ثورة العديد من اللغويين ضد المناهج الشكلية التي هيمنت على الدراسات اللغوية، وأهم ما أُخذ على تلك المناهج ما يلي:

أ-أنّها حصرت الدراسة في اللغة كبنية، أو كنظام معزول عن سياقه.

ب-اقتصار الدراسة على البِنَى والأشكال اللغوية، وإبعاد دراسة المعنى.

ج-عدم تجاوز الجملة كأعلى مستوى للدراسة اللغوية.

د-إهمال الظواهر الكلامية باعتبارها أشياء عارضة وفردية. [١]

أهمية التداولية:

التداولية مشروع موسع في اللسانيات النّصية: تهتم بالخطاب والمناحي النّصية فيه نحو: المحادثة، والمحاججة، التضمين الخ. ولدراسة التواصل بشكل عام، بدءاً من ظروف إنتاج الملفوظ إلى الحالة التي يكون فيها للأحداث الكلامية قصد محدد، إلى ما يُمكن أن تُحدثه في المتلقي، وتكمن أهميتها من حيث إنّها تهتم بالأسئلة الهامة والإشكالات الجوهرية في النّص، لأنّها تحاول الإحاطة بالعديد من الأسئلة من قبيل من يتكلّم؟ وإلى من يتكلّم؟[٢] وتتلخص مهام التداولية في ما يلي:

١- ينظر محمد الأخضر الصبيحي، ص٥٢

٢- عبد السّلام عشير، عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج،٢٠١٢م، ط٢، ص٦١

دراسة استعمال اللغة، فهي لا تدرس البنية اللغوية ذاتها، ولكن تدرس اللغة حين استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، (أي باعتبارها كلاماً محددا، صادراً من متكلّم محدد، وموجهاً إلى مخاطب محدد بلفظ محدد، في مقام تواصلي محدد، لتحقيق غرض تواصلي محدد) [١]:

١- شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.

٢- بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر.

٣- شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية الصرفة للملفوظات.

٤- (لا يُمكن أن نفهم طبيعة اللغة نفسها فهماً حقيقياً ما لم نفهم التداولية: كيف نستعمل اللغة في الاتصال).[٢] ومجال التداولية واسع ومتشعِّب ،إذ يمكن القول بوجود ثلاث تداوليات أساسية متجاورة هي:

أ-تداولية اللسانيين: التلفظية: أو لسانيات التلفظ

ب – تداولية البلاغيين: التخاطبية: أو نظرية أفعال الكلام

ج- تداولية الفلاسفة: التحاورية: أو التفاعلات التواصلية الحوارات[٣]

أسس التداولية:

يكاد يُجمع الباحثون على أنّ الدرس التداولي يقوم على دراسة الجوانب التالية:

١-متضمنات القول:Lesimplicites وهو مفهوم تداولي، يتعلق برصد جملة من الظواهر، المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره، ومن أهمّها:

١- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ط١، (٢٠٠٨م)، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، ص٣٧

٢- عيد بلبع، ص٣٦

٣- ادريس مقبول، الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، ط١، ٢٠٠٦عالم الكتب الحديثة الأردن، ص٢٣٦

أ-الافتراض المُسبق:Pre-Supposition وهو من وضع الفيلسوف الألماني غوتلوب فريجة، ويرى أنّ كلّ تواصل لساني ينطلق من معطيات، وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم، تُشكِّل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهذه الافتراضات المسبقة لا يُصرِّح بها المتكلمون، وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة، فإذا قال رجل لآخر:(أغلق النافذة). فالمفترض أنّ هناك نافذة، وأنّ هناك مبرراً لإغلاقها، وأنّ المخاطب قادر على الحركة، وأنّ المتكلم في منزلة الآمر، وكلُّ ذلك موصول بسياق الحال، وعلاقة المتكلم بالمخاطب، وإذا قال شخص: (كيف حال زوجتك وأولادك)؟ فالافتراض المُسبق للملفوظ هو أنّ المُخاطب متزوج وله أولاد، وأنّ الشخصين تربطهما علاقة ما تسمح بطرح هذا السؤال.[١]

ب- الأقوال المُضمرة: Les Sousentendus هي النمط الثاني من متضمنات القول، وترتبط بوضعية الخطاب ومقامه، على عكس الافتراض المسبق الذي يُحدد على أساس معطيات لُغوية، وإنَّ المحتويات يُفسرها سياق الحديث، ومثال ذلك قول القائل: إنَّ السماء ممطرة. فالسامع قد يعتقد أنَّ القائل أراد أن يدعوه إلى المكوث في بيته، أو الإسراع إلى عمله، أو الانتظار والتريث، أو عدم نسيان مظلته، وقائمة التأويلات مفتوحة مع تعدد السياقات والطبقات المقامية، والفرق بينه وبين الافتراض المُسبق أنَّ الأول وليد ملابسات الخطاب، والثاني وليد السياق الكلامي. [٢]

٢- الاستلزام الحواري: Limplication conversationelle وقد تُرجم إلى(حكم الحديث) وترجع نشأة البحث فيه إلى المحاضرات التي ألقاها غرايس في جامعة هارفرد١٩٦٧م فقدم فيها بإيجاز تصوره لهذا الجانب من الدرس

١- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص٤٣

٢- المرجع السابق، ص٤٤

وجُمِعت فيما بعد في كتاب(المنطق والحوار).لقد كانت نقطة البحث عند غرايس هي أنّ الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون، فجعل همَّه إيضاح الاختلاف بين ما يُقال وما يُقصد، فما يُقال هو ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمتها اللفظية، وما يُقصد هو ما يُريد المتكلم أن يُبلّغه للسامع على نحو غير مباشر اعتماداً على أنّ السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يُتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال فأراد أن يقيم معبراً بين ما يحمله القول من معنى صريح، وما يحمله من معنى متضمن.[1] ويتضح ذلك أكثر من خلال المثال الآتي بين الأستاذين:

الأستاذ (أ) هل الطالب(ج) مستعد لمتابعة دراسته الجامعية في قسم الفلسفة؟

الأستاذ(ب) إنّ الطالب(ج) لاعب كرة ممتاز.

فقد لاحظ غرايس أننا إذا تأملنا الحمولة الدلالية لإجابة الأستاذ(ب) وجدنا أنّها تدل على معنيين في الوقت نفسه أحدهما حرفي والآخر مستلزم. معناها الحرفي أنّ الطالب

(ج) لاعب كرة ممتاز، ومعناها الاستلزامي: أنّ الطالب المذكور ليس مستعداً لمتابعة دراسته في قسم الفلسفة، وهذه الظاهرة سماها غرايس بالاستلزام الحواري، ويشترط غرايس لتحقيق الاستلزام الحواري أن يأخذ المتكلم بعين الاعتبار المعطيات الآتية:

– المعنى الحرفي للكلمات المستعملة، وتعريف العبارات الإحالية.

– مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه. – السياق اللغوي وغير اللغوي للخطاب.

١– ينظر محمود نحله، مرجع سابق، ص٣٣

– عناصر أخرى تتصل بالخلفية المعرفية. – يجب على المساهمين في الحوار أن يكونا على علم بالمعطيات الآنفة. [١]

أقسام المعنى في الجملة:

يقترح غرايس تنميطاً للعبارات اللغوية حيث تُقسِّم الحمولة الدلالية للعبارة إلى:

١–المعاني الصريحة: هي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها وتشمل ما يلي:

أ–المحتوى القضوي: وهو مجموع معاني مفردات الجملة مضموماً بعضها إلى بعض في علاقة إسناد.

ب– القوة الإنجازية الحرفية: وهي القوة الدلالية المُعبَّر عنها بأدوات تصبغ الجملة بصيغة أسلوبية ما: كالاستفهام، والأمر، والنهى، والتوكيد، والنداء، والإثبات، الخ.

ج– المعاني الصريحة: هي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، لكن للسياق دور في التوجيه إليها وهي:

أ–معاني عرفية: وهي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطاً أصيلاً، وتلازمها في مقام معين كمقام الاقتضاء.

ب– معانٍ تخاطبية: وهي التي تتولد طبقاً للمقامات التي تنجز فيها الجملة كالدلالة الاستلزامية. [٢]

نظرية الأفعال الكلامية[٣]

يقابل هذا المصطلح عند المحدثين ما يُعرف بالخبر والإنشاء عند البلاغيين العرب القدامى، ويرتبط بمفهوم القصدية عند التداوليين. وقد قسّم المحدثون الأفعال الكلامية إلى أفعال مباشرة وأفعال غير مباشرة كالتالي:

١– العياشي أدواري، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ط١/٢٠١١م، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص١٠٤

2 -Voir:Grice,Loqueet conversation,P.60..

٣– محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ط ٢٠٠٦م، ص٥٠ـ٥١

١-الأفعال المباشرة (Direct acts): وهي تلك الأفعال التي تُعبر صراحةً عن الغرض من الكلام سواءً أكان
إخبارياً أم طلبياً، وتدل على هذه الأفعال الصيغ والأساليب اللغوية المستخدمة، والقوة الإنجازية فيها متضمنة في صيغ الجمل نفسها.

٢- الأفعال غير المباشرة:(Indirect acts) وهي تلك الأفعال الكلامية التي تتكئ على الأفعال الكلامية المباشرة، فيتولد من استعمال الأساليب والصيغ المباشرة دلالات على غيرها، والقوة الإنجازية فيها مستلزمة من السياق الذي جاءت فيه[١]

فالأفعال الكلامية المباشرة تمثل المقاصد الظاهرة؛ إذ تدل دلالة صريحة على المعاني المتضمنة في الصيغ والأساليب اللغوية المستخدمة استخداماً مباشراً، أما الأفعال اللغوية غير المباشرة فتمثِّل المقاصد الخفية، وتدل على معنى آخر غير الظاهر من الفعل الكلامي، وهذا المعنى يدل عليه السياق.

لقد وصف رادولف كارناب Rcarnap التداولية بأنّها قاعدة اللسانيات، أو أساسها المتين الذي تستند إليه، أي أنّها حاضرة في كلِّ تحليل لغوي، فبمجرد أن ينتهي عمل اللساني في دراسة اللغة(البنية) يظهر الإسهام التداولي في الأبعاد الحقيقية لتلك البنية، وتنفسح من ثم على الأبعاد النفسية والاجتماعية والثقافية للمتكلم والمتلقي والجماعة التي يجري فيها التواصل، مع مراعاة السن التي تحكمها.

١- المرجع السابق ص٥٠-٥١

المبحث الثاني

التحليل التداولي لآيات الترغيب والترهيب في سورة البقرة

الوعديات (الالتزاميات)

الوعديات هي الالتزاميات.Commissives، وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء ما في المستقبل، ويسمى الغرض الوعدي وأطلق عليها جورج يول: (الملزمات وهي تُعبّر عن ما ينويه المتكلم من وعود وتهديدات وتعهدات).[١]

أفعال الوعد والوعيد: يلتزم فيها المتكلم بفعل شيء تجاه المخاطب، وتمثّله أفعال الوعد والوعيد، وهي كثيرة في القرآن الكريم، وتترتب على مجموعة من الأوامر والنواهي، وتختم بإظهار العاقبة في الأخير، أو ما يسمى بالجزاء. وأفعال الوعيد تصحبها إدانة مثل قوله تعالى:(إنّكم مجرمون) في الآية (كلوا وتمتعوا قليلا) المرسلات ٤٦. ويتعلق فعل الوعيد بمعنى التحذير من معصية الله، والإشراك به، ومنها الترهيب من مخالفة التشريع الإلهي. (ذلك أنّ من النفوس ما لا يجد بها الترغيب وحده بل لابد لها من الترهيب والوعيد، فهو لذلك يقدِّم مثلا من سنن الله في الذين خلوا، وما أصابهم من عذاب بسبب كفرهم وجحودهم. ويشفع ذلك بالتهديد بوقوع مثل ذلك العذاب الذي لقيه الأولون، ويُضاف إلى ذلك عذاب الآخرة الذي وعد به المكذبون) [٢] .

وعن إمكان وصف الوعد بالكذب في حال كون الواعد غير ناو لتحقيق ما وعد به:(فإنّ الكذب يختص بالماضي والحاضر، والوعد إنّما يتعلق بالمستقبل فلا يدخله الكذب)[٣]. وأما وعد الشرائع ووعيدها – عند القرافي – فهي مما يقبل الصدق والكذب، ومن ثم فهي صادقة، والفرق هو (أنّ الله سبحانه وتعالى

---

١ – جورج بول، التداولية، ترجمة: قصي العتابي ص٩٠

٢ – كريم حسين ناصح، الخطاب النفسي في القرآن الكريم، ص١٠١

٣ – القرافي، الفروق. ٢٢/٤.

يُخبر عن معلوم، وكلّ ما تعلق به العلم تجب مطابقته فيكون الوعد به خبرا صادقا أما وعود البشر فأمرها يختلف، فالواعد إنّما ألزم نفسه أن يفعل فعلاً ما، مع تجويز أن يقع ذلك منه وأن لا يقع، فلا تكون المطابقة وعدمها معلومين ولا واقعين، فانتفيا بالكلية وقت الإخبار)[1].

طرق التعبير القرآني للوعديات:

١- اعتماد صيغ الأمر (فعل الأمر)، كقوله تعالى: (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون) الطور: ٤٥

٢- المصادر، مثل (فويلٌ للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون). الماعون:٤و٥

٣- لام الأمر الداخلة على المضارع. مثل (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) على سبيل التهديد والوعيد.

٤- أدوات الاستفهام، بمعنى التهديد والتخويف لا بقصد طلب الفهم. مثل (ألم ترى كيف فعل ربُّك بأصحاب الفيل) الفيل:١

٥- بصيغة الفعل الماضي. مثل (حتّى إذا جاءوها فتحت أبوابها) الزمر:٧١. وترد بصيغة الماضي، للدلالة على أنّ أحداثها متحققة الوقوع [2].

٦- الفعل المضارع المقترن بعدد من الأدوات التي تدخل عليه: كالسين، أو سوف، أو لام الابتداء، أو اتصاله بنون التوكيد، أو الام السببية. مثل (سنسمه على الخرطوم) القلم:١٦

٧- الجملة الاسمية لما فيها من دلالة على الإثبات والاستقرار، وتحقق الوعيد. مثل (حسبهم جهنم يصلونها) المجادلة:٨

---

١ – نفسه، ٢٤/٤

٢ – ينظر كريم حسين، الخطاب النفسي في القرآن الكريم، ص١٠٣

٨- الاعتماد على الجرس الصوتي للحروف للتأثير على النفوس. مثل (فيقول ياليتني لم أوت كتابيه ولم أدري ما حسابيه ياليتها كانت القاضية ما أغنى عنّي ماليه...الخ) الحاقة:٢٤

الترغيب والإغراء:

ويراد بالترغيب وسيلة الإقناع بالدخول في الإسلام، والتمسك به بمخاطبة المشاعر، وتحريك الرغبات الكامنة، وذلك بإغراء النفوس بما ينتظرها من ثواب، وقد عبّر القرآن الكريم عن هذا المعنى بأدوات كثيرة:

١- الجملة الاسمية: الدالة على الثبات لتأكيد حصول هذا الثواب، ولهذا جاءت هذه الجمل في أكثرها مؤكدة بأدوات التأكيد. مثل (إنّ المتقين في جنات النعيم) الطور:١٧.

٢- الأمر والنهي: فقد عبّر القرآن بصيغ مختلفة عن معنى الترغيب. مثل (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفسٌ ما قدمت لغدٍ) الحشر:١٨

أفعال الوعد(الترغيب) في سورة البقرة

(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) ١١٠

في هذا الأمر ترغيب وتوكيد للأمر بالعفو، وكذلك الأمر بالصلاة والزكاة، وترغيب فيه.[١] والخطاب للمسلمين في سياق ظروف العفو والصفح عن أهل الكتاب الذين يعيشون بينهم بالمدينة، وقبل الحسم والمواجهة أن يستقيموا على إحياء الدين بالعمل الصالح كما أُمر بنو إسرائيل أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة بما يعين على الصبر والصفح والتوالي والتضامن للصف المسلم. وما يقدّموا لأنفسهم من خير يجدوه عند الله أجرا مضاعفا تذكرة بأنّ ما يُقدمون من صلاة وزكاة خيرٌ كثيرٌ لن يضيع، بل هو ذخر لهم سيجدونه عنده سبحانه وتعالى فهو حقاً بصير بما يعملون.

(قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) ١٤٤، يشتمل الإخبار على فعل كلامي متضمن في القول هو: فعل الوعد **فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا**، فقد وعد الله نبيه أن يوليه قبلةً يرضاها أي يحبها ويميل إليها وهي جهة المسجد الحرام؛ أي فلنعطينّك ولنمكننّك من استقبالها.[٢] وفعل الوعد ينتمي إلى صنف أفعال الالتزام أو (التعهد)، بتعبير أوستين التي يقول عنها: (إنّ النقطة الأساسية في التعهد هي أن يلتزم المتكلم من خلال الفعل الذي ينطقه بتصرف أو نشاط معين).[٣] الخطاب للرسول ﷺ الذى كان يُقلّب وجهه في

---

١ – ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير،٦٧٢/١

٢ – الزمخشري، الكشاف،٢٠٢/١

٣ – محمد حسن عبد العزيز، كيف ننجز الأشياء بالكلمات، مجلة كلية دار العلوم – جامعة القاهرة – عدد١٩

السماء منتظرا وحيا يحوّل القبلة شطر المسجد الحرام، قسمته بين الجهات وخيرته، وإذا تهيأ للتحول إليها قبلة بروحه العالية فقد عرف مكة بلاده وعهد فيها المسجد الحرام مركز التعبد ومرجعه إلى آبائه إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام. والخطاب كذلك للمسلمين في التوجه تلقاء المسجد الحرام حيث كانوا ولو خارج مكة، في المدينة أو في أي مكانٍ آخر. وإنّ الذين أُوتوا الكتاب ليعلمون أنّ الذي جاء به الرسول هو الحق من ربهم وهو التوبة إلى أصول عبادة عهدا منذ أبيهم إبراهيم. ويتواصل الحديث عن أهل الكتاب فما الله بغافل عما يعملون خروجا على منطق الحق الذي يعلمون، والمعنى يصرف المسلمين ليتحرّروا من موقف هؤلاء وأثرهم.

(فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ١٨٢

المراد بالإصلاح تبديل الوصية، من الباطل إلى الحق. قال الرازي:(إعلم أنّه تعالى لما توعد من يُبدل الوصية، بين أنّ المراد بذلك التبديل، أن يبدله عن الحق إلى الباطل أما إذا غيره من الباطل إلى الحق، على طريق الإصلاح فقد أحسن).([1]) وأكد ذلك الوعد بجملة التذييل في قوله تعالى:(**إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)** وهي تذييل أتى به للوعد بالثواب، للمصلح على إصلاحه...الخ.([2])

الآية تدعوا إلى العدل بين الورثة الموصى لهم بإزالة أيما شعور بالظلم أو الشقاق، وبتسوية أنصبتهم بالتراضي على عدل وسلام في الأسرة.

(أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا

١ – الرازي (فخر الدين)، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط١، (١٩٨١م)، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – لبنان ٧٠/٣

٢ – الألوسي (أبو الفضل شهاب الدين محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، تحقيق سيد عمران (٢٠٠٥)، دار الحديث، القاهرة، ٦٢٣/٢

إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) ٢١٤ الوعد جاء بصيغة التقرير **(أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)**، وهو استئناف نحوي على تقدير القول أي فقيل لهم حينئذٍ ذلك تطييبا لأنفسهم، وإيثار الجملة الإسمية وتصديرها بحرف التنبيه والتأكيد للدلالة على تحقق مضمونها وتقريرها واختيار حكاية الوعد بالنصر لما أنّهم في حكم إنشاء الوعد للرسول ﷺ. (١)

فلا يحسب المؤمنين أنّ مسيرة الحياة لهم في دنيا نعمة وسلامة وسكون حتى تؤول إلى دخول الجنة في الأخرى دون أن يتعرضوا للخلاف مع الكافرين، بل لتفاقمه صراعا وقبا أن يأتيهم من ثمّ مثل ما أُوتي الذين خلوا ومستهم البأساء والضراء أذىً في أموالهم وأنفسهم وفتنة وزلزلة في منهجهم مضطربا بأحوالهم وبأقوالهم وقع الاضطهاد وطول البلاء، كذلك حتى يتساءل الرسول القائد والذين آمنوا معه: متى يأتي نصر الله فرجا وفتحا؟ لا سؤالاً عن أجله لكن تعبيرا عن الجزع والاستيئاس. وختام الآية طمأنة للذين آمنوا المستيئسين أنّ نصر الله قريب وأن يصبروا ويتوكلوا على الله حتى تأتيهم البشرى بالنصر القادم القريب، فضلا عن رجاء الجنة المكتوب لهم في الآخرة. **(وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) ٢١٥ (وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) ٢٣٧** الفعل الكلامي الذي تضمنه قوله تعالى : **(وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)**

الفعل الكلامي الذي تضمنه قوله تعالى: **(وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)** هو الترغيب في وجوه الإحسان وأبواب الإنفاق. فإنّ الله يجازي عليه أحسن الجزاء. والفعل أعم من ذلك وأكد عليه بالجملة الإسمية (إنّ الله به عليم). أما الآية (٢٣٧) ففي نهايتها جملة تذييل، ففي الجملة (تعليل الترغيب

١ – ينظر، أبو حيان الأندلسي، ٢البحر المحيط، تحقيق زهير جعيد، (٢٠٠٥)، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت – لبنان /٣٤٢

في عدم إهمال الفضل وتعويض بأنّ من العفو مرضاة الله تعالى فهو يرى ذلك منا فيجازي عليه. [١]

فمع هدى الشعائر للمؤمنين صلاةً وصياماً وحجا يتوحدون بها كان يأتي في الآيات السابقة ذكر الإنفاق الموحد موصولا يتوجه الصلاة براً، وبالصيام فدية، وفي سبيل الجهاد حول حق الفرقان المنزّل في رمضان، وبالحج هديا للفقراء الحجاج. [٢] وفعل الخير يعلمه الله كيفما كان. وتشير السياقات كلها في القرآن إلى أنّ الصدقة خير يعلمه الله العليم سرا وعلناً.

أما الخطاب في الآية(٢٣٧) لكلّ أطراف الزواج زوجا وزوجة ووكيلا: أن يعفو الزوج عن النصف الذي استحق أن يأخذه فيؤدي الفرض كاملا لها أو تعفو هي أو وكيلها عن النصف المستحق فيسقط عنه، ذلك التعافي أقرب لمناط التقوى وخلقها فلا تنسوا أن يتفضل بعضكم على بعض تكرُّما وتسامحا وتباعدا عن المحاقّة والمحاسبة التي لا تليق بالعلاقات الإنسانية. إذا اجتمع المؤمنون فإحسان أو افترقوا فإحسان، فإنّ الله بما تعملون بصير دقيق البصر يعلم الفضل والتسامح ويعلم العفو ويعلم الشح والقبح والتحسب في هذه العلاقات مهما تدق.

١ – ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٤٦٥/٢

٢ – هذه المعاني وردت في الآيات ١٧٧و١٨٤و١٩٦و١٥٣و١٩٠و١٩٦.

أفعال الوعيد (الترهيب) في سورة البقرة

(خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) ٧.

الفعل الكلامي المتضمن في القول التقريري، هو نفي الإيمان عن تلك الفئة المذكورة، وتعدلت القوة الإنجازية بتقديم القلوب لأنّها محل الإيمان، والسمع والبصر طرق وآلات له، وبذلك يكون الفعل الكلامي غير المباشر، هو الوعيد، ودليل ذلك عدم العفو وهو شرط ضمني، قال الألوسي:(إنّا ندعي أنّ أخبار الوعيد، في الكفار مشروطة بعدم العفو، وإن لم يكن هذا الشرط مذكورا صريحا... على أنّه يحتمل أن تكون تلك الجملة دعائية، أو إخبارية لكن الإخبار عن استحقاق الوقوع، لا عن الوقوع نفسه) .[١]

فقد مضت فيهم عاقبة قدر بما فعلوا، ختم الله طابعا على قلوبهم وسمعهم ووقعت غشاوة على أبصارهم. والغشاء على النظر حجبه عن البصر النافذ إلى آيات الله، والغشاوة لا تحجب السمع وإنّما يحجبه الختم. (وسمعهم) جاءت بالمصدر المفرد، لأنّ وظيفة السمع حس الآذان تصدر راتبة حتى ولو من جماعة، فالصوت والكلام يلتقطهما كلٌّ من حضر، ولكنّ القلب قد يحس ويدرك، والعين قد تنظر وتبصر ما لا يدركه ولا يبصره حاضر آخر في المكان نفسه فجاءت القلوب والأبصار بالجمع لتعمّ. في ارتباط مع الآية قبلها، تشير إلى كفار مكة وصلبة قلوبهم ونأيهم عن سماع القرآن ثمّ عن إدبارهم وعماهم عن آيات الله.

١ – الألوسي، مرجع سابق، ٢٠٦/١

(فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) ١٠

مرض القلب يُحمل على المعنى المجازي، ذلك المرض يمنعهم من الإيمان، فالفعل الكلامي يتضمن الوعيد: بسبب النفاق والخداع، والكذب بقولهم آمنا، كما يتضمن معنى الذم، بالكذب والتكذيب، فالفعل الكلامي غير المباشر هو تحريض المؤمنين على ما هم عليه من الإيمان والتصديق. وتلك سنة الله لمن كسب علة القلب باختيار وسار متماديا تتيسر له سنة الله ليزداد علة. ومن كسب صحة القلب وصابر تيسر له ذلك فازداد إيمانا. أمّا الأولون فلهم في العاقبة عذاب أليم بما كانوا يُكذِّبون(قراءة) دين الحق. والآية فيها إشارة إلى من كان مريضا في تدينه من بني إسرائيل بالمدينة وازداد مرضا بقدوم الإسلام ومن كان مريضا بأخلاقه الاجتماعية وازداد مرضا بظهور الدين المستقيم.

(فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) ٢٤.

تتضمن الآية فعلا كلاميا غير مباشر وهو الوعيد، فالله سبحانه وتعالى يُعلم المخاطب بما يترتب على الوقوع في المخالفات، وما أعدّ للكافرين من عذاب، وأنّ الله ناجز ما وعد به، بعد أن بلغت توجيهاته ووعوده للناس كافة [١].

ويتم الخطاب للناس: فإن كنتم لم تفعلوا تقليد القرآن، ولن تفعلوا ذلك – نفيا مستقبلا يثبت عجزا موئسا أيما محاولة تقليد – فعليكم أن تكونوا من المتقين لا من المكذبين لتتقوا الجزاء يوم القيامة نارا وقودها الناس والحجارة أُعدت ورُتبت بأقدار الله لجزاء الكافرين بما أنزل من وحي ورسالة. ولما كانت الحجارة وسائر أشياء الطبيعة في الدنيا تطيع أقدار الله والإنسان يحمل أمانة الخيار ولكن من يشاقق تلك الطبيعة فيعصي أحكام الله وينكر حقائق الغيب،

١- انظر: ادريس سرحان، التأويل الدلالي – التداولي للملفوظات، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، ص١٦٨.

فإنّ جزاءه في الآخرة أن يكون في صحبة الأشياء يقع عليه حكم الغياب كرها وفاقا لمشاقته لها في الأولى فالمناخ حوله نار تحترق والحجارة حوله تتوقد بها.

(فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ)٧٩... (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ) ٨٦.

تكرار الكلمة ويل مبالغة في الوعيد والزجر والتهويل، بالنصب على إضمار الفعل، وتقديره ألزمه الله ويلاً. والأفعال الكلامية في الآيات السابقة – والتي تصف سلوك اليهود – تتضمن معنى الوعيد، ولاسيما وعيد يوم القيامة وهو الخلود في النار، ولتدعيم القوة الإنجازية لفعل الوعيد قدّم لفظ (يوم القيامة) على ما يقع فيه لتهويل الخطب، وكذلك تأكيد الوعيد.[1]

فويلٌ وعذابٌ جزاء للأئمة أهل العلم الذين يكتبون الكتاب بأيديهم شروحا ونقولا ومقولات من التحريف والأماني وما تفتريه أقلامهم، ثم يزعمون أنّ هذا كلّه مما أُلحق منزل من الله، ليكسبوا معاوضة بالافتراء ثمنا قليلا من المتاع والمنافع وجاه المكانة الدينية بين العوام، فلهم عذاب مما افتروه على الله مما كتبت أيديهم وحفظت أقلامهم، وعذاب يكسبونه وفاق ما كسبوا بالحرام في الدنيا قليل مصالح.

أولئك الذين يؤمنون ويعملون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ويعطلونه، هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة، آثروا مبتغى هواهم العاجل على نعيم الآخرة الآجل، وظنوا أنّ بعض الموالاة الطائفية تغني عن التزام سائر الدين، فأولئك لا يخفّف عنهم العذاب ولا هم ينصرون بالموالاة دون الله.

---

١ – ينظر، الألوسي، مرجع سابق، ٤٣١/١

(قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ(٩٧) مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ) ٩٨.

الخطاب موجه إلى الرسول ﷺ، للرد على اليهود الذين اعتذروا عن الإيمان وقالوا نؤمن بما أُنزل علينا فقد أمر الله نبيّه بصيغة (قل) بأن يُخاطبهم في شأن عداوتهم لجبريل لأنّه يجري مجرى المحاجة [١].

فإنّ اليهود اتخذوا جبريل عدوّا بزعمهم أنّه يُخبر محمّدا ﷺ، بأسرارهم ويأمر بقتالهم ووراء ذلك الأمر فعل كلامي غير مباشر وهو التهديد والوعيد فإنّ الله ﷻ يبلّغ هذا المعنى لبني إسرائيل لأنّهم اتخذوا جبريل عدوّا فالتقدير (من كان عدوّا لجبريل فلا يعاده وليعاد الله تعالى)[٢] . والفعل الكلامي يحمل دلالة غير مباشرة هي ذلك الوعيد لأولئك اليهود كما يحمل قوة إنجازية مستلزمة هي التهديد والذم على ذلك الموقف الشنيع من عداوتهم لجبريل، وبالتالي عداوتهم لله سبحانه وتعالي.

إنّ المحتوى القضوي هو: استحقاق بني إسرائيل للعقاب، والشرط المعد هو: قدرة المتكلم على أداء مايلزم نفسه به [٣]، وأما ما يتعلق بمفترضات القوة المتضمنة في القول: فإنّ الفعل الموعود بوقوعه، هو في غير صالح المخاطبين* ولتعديل القوة الإنجازية، لهذا الفعل الوعيدي، استعان السياق بجملة من المقويات ممثلة في: المؤشرات اللغوية منها:

---

١ – فخر الدين الرازي، التفسير الكبير ٢/٢١٠

٢ – ابن عاشور، مرجع سابق، ١/٦٢١

٣ – ينظر، طالب هاشم طبطائي، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، (١٩٩٤م)، مطبوعات جامعة الكويت، ص٣١

* لأنّ من مفترضات القوة المتضمنة أن يكون الفعل المهدد بإيقاعه مما يضر بالمخاطب.

تأكيد الكلام باعتبار حال المخاطبين، لأنّهم منكرون في قوته (فإنّه نزّله)، والمضمر إضمار ما لم يسبق ذكره، فيه فخامة لشأن صاحبه، حيث يجعل لفرط شهرته، كأنّه يدل على نفسه، ويُكتفى عن ذكر اسمه الصريح، بذكر شيء من صفاته [١]. ومنها إدخال(لام) التقوية، على مفعول (مصدقا لما) للدلالة على تقوية ذلك التصديق. ومنها أنّه قدّ م جبريل لأفضليته، ومنها أنّه أتى باسم الجلالة ظاهرا (فإنّ الله) للتعظيم والتفخيم، والعرب إذا فخّمت شيئا كررته بالاسم ومنها تكرار الجمل الإسمية، للدلالة على التحقيق والثبات، ووضع المظهر، موضع المضمر(للكافرين) تفيد أنّ عداوة المذكورين كفر، وأنّ سبب عداوته تعالى لهم، وسخطه هو كفرهم. [٢] فقد صارت عداوتهم لجبريل كالحد الوسط في القياس، وكانت عداوتهم الله بمنزلة المقدمة الكبرى، وعداوتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة المقدمة الصغرى، وأنّ عداوة الملائكة والرسل عداوة لله، وقد أثبت لهم عداوة الملائكة والرسل مع أنّهم عادوا جبريل ومحمدا لأنّهم لما عادوهما عادوا الله .[٣] هذا الفعل الكلامي غير ظاهر في البنية اللغوية، وذلك ما دلت عليه قرائن ظاهرية، وأخرى ضمنية استدلالية.

فالآية (٩٧) ترد على حملة اليهود على جبريل بعد الحملة على الرسول ﷺ لأنّهم ظنوا جبريل قد خانهم عندما خرج على عصبيتهم وحمل الوحي إلى غيرهم، فسخروا وأساءوا إلى جبريل عليه السلام. والخطاب للرسول أن قل: من عادى جبريل حسدا على التنزيل فإنّه القرآن نزّله ذلك الملك على قلبه طمأنينة بإذن الله من الرسول الملك لا البشر، وتصديقا لما بين يديه من التوراة والإنجبل لا بدعا من سنة الله الرسالية، وهدى وبشرى للمؤمنين جميعا، هدىً لهم في الحياة الدنيا وبشرى بحسن المصير في الآخرة. فجبريل ليس عدوّا لأحد ولا حامل الهدى

١ – الرازي ٢/٢١٢
٢ – ينظر الألوسي ١/٤٦٢
٣ –ينظر ابن عاشور ١/٦٢٣

والبشرى لخاصة من بني الإنسان، بل للمؤمنين منهم كافة، ولو آمن اليهود بما أنزله من بعد كما آمنوا من قبل لكان لهم التنزيل هدىً وبُشرى.

وإنّ من عادى الله لأنّه نزّل فضله حيث شاء وعادى ملائكته الذين هم رسله إلى البشر لا سيما جبريل الذي ينزّل الوحي، وميكائيل الذي يُنزّل أقدار الرزق – كلّ ذلك حسدا على الدين الجديد وغيره من أسباب نزوله وآثاره الهادية المبشرة في الدنيا لنهضة الذين يؤمنون في المدينة سبقا لليهود فيها الذين كانوا يتفضلون على الناس بتراث الدين وبثروة الدنيا – من كان عدوّا لله وكافرا بوحيه وبقدره فإنّ الله عدو الكافرين يجاوبهم وفاقا.

الخاتمة

حاولت هذه الدراسة أن تكشف الأبعاد التداولية من خلال المدونة (الترغيب والترهيب في سورة البقرة – دراسة تداولية) وقبل ذلك عرّفت بسورة البقرة، وتحدثت عن مفهوم التداولية وأقسامها ومحاورها وأهميتها وأسسها، وعلاقة التداولية بالحجاج واللسانيات والنحو الوظيفي وعلم الدلالة والبنيوية والأسلوبية واللسانيات النفسية والاجتماعية. وقد قمت بتحليل هذه القضية تداولياً أولاً بترتيل المعاني في واقع نزولها والظروف التي نزلت فيها وثانياً أوردت عموم المعاني الخالدة والتي تخاطب الإنسان في كلِّ زمان ومكان.

وملخص ما خرجت به أنّ التداولية تعتبر ميداناً لغوياً مكملاً للسانيات البنيوية، فهي تحاول فهم الاستعمال اللغوي من خلال سياقات غير لغوية؛ أي السياقات الاجتماعية والثقافية، ومقاصد المتكلمين، وعلاقة العلامات بمستعمليها لا سيما وأنّ التداولية لا تهتم كثيراً بمعاني الجملة إنّما تبحث في ما ذا يعني المتكلم بتلك الجملة.

وتوصلت إلى أنّ التداولية حديثاً قد نبهت على مبادئ التعاون والتأدب والتلطف والملاءمة والتصديق وهي الظواهر التي أشار إليها قديماً الجاحظ وابن قتيبة والماوردي وغيرهم. وأنّ بالمنهج التداولي آليات تؤهله لتحليل الخطابات بجميع أنواعها دينية أو قانونية أو سياسية أو أدبية (شعرية كانت أو نثرية)، هذا وقد توصل تحليل المدونة للعديد من النتائج أذكر منها:

١–التفريق بين الآيات التي تحمل معنى الترغيب والترهيب ليس تفريقا تاماً بين المعنيين. فقد نجد المعنيين في آية واحدة.

٢– مما زاد من قوة التداولية ووضحها في (آيات الترغيب والترهيب) في السورة، فالسورة مدنية ونزلت في واقع تأسيس الدولة الإسلامية، ولذلك اتسع السياق بتعدد المخاطبين، وتعدد الموضوعات، وتنوع الزمان المكان، وتتابع نزول الوحي ضمن أطر مقامية مختلفة .

٣- معاني الوعد والترغيب جاءت بصيغ أفعال كلامية أمراً وتوكيداً ووعداً وتقريراً، متضمنةً معنى الوعد والترغيب، فإنّ المسلمين يرجون من العليم الحكيم ما لا يرجو أعداؤهم من كسب الأجر العظيم وعاقبة الخير عند الله للعباد ولا سيّما وعد يوم القيامة وهو الخلود في الجنة.

٤- معاني الوعيد والزجر والتهويل جاءت بصيغ أفعال كلامية تتضمن معنى الوعيد ولا سيّما وعيد يوم القيامة وهو الخلود في النار.

٥- إنّ الصيغة اللغوية الواحدة ينتج عنها عدة درجات من المعنى: أولها المعنى المباشر (معنى الصيغة)، والثاني معنى المعنى، وهو القوة الإنجازية غير المباشرة والثالث: معنى المعنى وهو قوة إنجازية مستلزمة.

٦- الخطاب القرآني في هذه القضية وفي كلّ الخطاب القرآني خطاب كوني يخاطب الإنسان في أيّ زمان ومكان، مع أنّنا نجد أنّ آيات الترغيب والترهيب قد نزلت في واقع معين وخاطبت شخصيات معينة في زمن مضى.

قائمة المصادر والمراجع

١-القرآن الكريم.
٢-الألوسي (أبو الفضل شهاب الدين محمود). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم. تحقيق سيد عمران، دار الحديث، القاهرة. (٢٠٠٥م).
٣-أبوحيان (محمد بن يوسف بن على الأندلسي)، تحقيق زهير جعيد، (٢٠٠٥)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.
٤-أدواري (العياشي)، الاستلزام الحواري في التداول اللساني ط١/٢٠١١، منشورات الاختلاف.
٥-ابن عاشور التحرير والتنوير، ج١، (١٩٨٤م)، الدار التونسية للنشر والتوزيع – تونس.
٦-ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ط٣، (٢٠٠٤)، دار صادر بيروت – لبنان
٧-ادريس مقبول، الأسس الابستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، ط١، (م٢٠٠٦)، عالم الكتب الحديثة الأردن.
٨-الرازي (فخر الدين). التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ط١، (١٩٨١م) دار الفكر للطباعة والنشر.
٩-الزمخشري، الكشاف، دار الكتاب العربي، ط٣/١٩٨٧م.
١٠-الزمخشري، أساس البلاغة، ط١، (١٩٩٨م)، دار الكتب العلمية – بيروت لبنان.
١١-السيوطي (جلال الدين). الإتقان في علوم القرآن، دار إحياء العلوم، بيروت، مكتبة المعارف، ج١، ط٢.
١٢-الصبيحي (محمد الأخضر)، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ط١/٢٠٠٨م، منشورات
١٣-الطبطائي (طالب سيد هاشم)، نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت(١٩٩٤م).

١٤-العياشي أدواري، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ط١، (٢٠١١م)، منشورات الاختلاف – الجزائر.

١٠-القرافي (شهاب الدين أحمد)، أنوار البروق في أنواء الفروق، ج٤، بدون طبعة، بدون تاريخ.

١٢-جورج يول، التداولية، ترجمة قصي العتابي، ط١، (٢٠١٠م)، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط – المغرب.

١٣-دومينيك مونغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد بحياتي، منشورات الاختلاف ط١/٢٠٠٨م.

١٣-سيد قطب، التصوير الفني في القرآن الكريم، دار المعارف مصر-١٩٥٦م

١٤-سرحان ادريس، التأويل الدلالي – التداولي للملفوظات، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، ط١، (٢٠١١م)، عالم الكتب الحديث، عمان – الأردن.

١٥-صحراوي(مسعود)، التداولية عند العلماء العرب، ط١/٢٠٠٨، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر.

١٦-طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد الكلام، ط٢، (٢٠٠٠م) المركز الثقافي العربي – بيروت – لبنان.

١٧-كريم حسين ناصح، الخطاب النفسي في القرآن الكريم، ط(٢٠٠٧م)، دار صفاء للطباعة والنشر، عمان – الأردن.

١٨-عشير- عبد السلام- عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، إفريقيا الشرق، المغرب، ط١،(٢٠٠٦م).

١٩-عيد بلبع، التداولية البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، مجلة فصول، مصر، القاهرة، رقم الطبعة

٢٠-نحلة (محمود) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، ط١، ٢٠٠٦م.

٢١-محمد حسن عبد العزيز، كيف ننجز الأشياء بالكلمات؟، مجلة كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، عدد(١٩).
٢٢-محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي، دار المعرفة الجديدة – مصر، (٢٠٠٦م).
٢٣-محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، ط١، ٢٠٠٦م.

المراجع الأجنبية:

24- Grand larousse Universel-Paris Cedex Tome12
25- Petit Larousse en couleur librairie Larousse Paris 1980
26- Voir: Grice' Loqueet Conversation' P.60